مقدمة

النص الأدبي هو بصماتُ لحظةٍ شعريةٍ أفَلتَتْ، يسعى القارئ جاهدا لإعادة تمثلها وتمثيلها، ليس فقط على وجه واحد، بل على أوْجهٍ عِدَّة يتحملها النص الإبداعي الذي يتسم بانفتاحه دون أن يكون منغلقا متقوقعا على نفسه.

إن المتلقي -إذن- يرتبط بردود الأفعال والمواقف التي تكيف استجابات القارئ، كما يقول إيزر أن النص الأدبي لا يستطيع أن يمارس وجوده قبل أن يُقرأ، فمن المستحيل وصف أثره دون تحليل عملية القراءة [1].

إذن فالقارئ هو وحده الذي يستطيع تحقيق كوامن النص وتحيينها في وقائع، ولذلك فإن بنية النص وعملية القراءة يتكاملان في تحقيق التواصل، ويتحقق التواصل عندما يرتبط النص بوعي القارئ [2].

مرة أخرى يقول *Iser* أن الكاتب والقارئ يتقاسمان بالتساوى لعبة الخيال، ولن يكون لهذه اللعبة محل إذا ما أفاد النص أنه أكثر من قاعدة للعب [3].

إن النص يمثل لحظة أو ومضة شعرية انطلقت، فيسعى القارئ جاهدا لإعادة تمثلها أو تمثيلها، وحين يفتقد المتلقي (القارئ) قدرته على إعادة إنتاج النص

---

١ - طالع : فولفجانج إيسَّر ، فعل القراءة نظرية في الاستجابة الجمالية ، ترجمة عبد الوهاب علوب، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ٢٠٠٠.

٢ - طالع :الكتاب السابق .

٣ - طالع :الكتاب السابق

بصورة متعددة لا بصورة واحدة، يصبح قارئا سلبيا وهو - كما يقول عبد القاهر الجرجاني- مجرد راوية، بل هو أشبه بالدفتر[1]

إن موت التفاعل القرائي بين مغزى الخطاب وبين بنيته اللغوية هو من أهم أسباب سكون البلاغة، واتهاماتها بالموات " إن أي وصف للتفاعل بين الجانبين، لابد أن يربط بنية التأثيرات (النص) وبنية رد الفعل (القارئ) [2]، وعبد القاهر يسوق مثالا على ذلك بقول مُزَرِّد :

فمَا رَقَد الوالدانُ حتَّى رأيتُه

على البَكْرِ يمْرِيه بساقٍ وحَافِرِ [3]

وهذا القول السابق يستفز القارئ بوجود مفارقة بين " مغزى " المدح بالشدة في مجال الفروسية وبين استعمال " الحافر" للإنسان ، وهو للحيوان أصلا ! أصحاب الضرورة من النحاة يؤولون هذا التصرف بقولهم : إنه أراد أن يقول بساقٍ وقَدَم، فلما لم تطاوعه القافية وضع الحافر موضع القدم[4] وقول النحاة السابق قابل للتأييد بالمغزى المستفاد من قوله بعده

فَقُلتُ له أهلاً وسهلاً ومرْحَباً

بِهذا المُحَيَّا مِنْ مُحَيَّ وزَائِرِ

---

١ - أسرار البلاغة . تصحيح محمد رشيد رضا . دار المعرفة . بيروت ١٩٨١ ص: ١٢٢

٢ - فولفجانج إيسَّر ، فعل القراءة (نظرية فى الاستجابة الجمالية)، ترجمة عبد الوهاب علوب ، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة ٢٠٠٠ ، ص: ٢٨.

٣ - أسرار البلاغة بتحقيق الشيخ محمود محمد شاكر – مطبعة المدنى – جدة ط١ ، ١٩٩١ م ، صـ ٣٧ ، والبيت كما يقول الشيخ شاكر ليس لمزرد ابن ضرار، بل لجبيهاء الأشجعى (واسمه يزيد بن خيثمة بن عبيد) نشأ وتوفى فى أيام بنى أميه ، وعنى بالولدان : العبيد

٤ - نفسه، ص: ٣٧

فهذا الامتداد يبعد عنه قصد الرّماية عليه أي السخرية ، وعبد القاهر لا يستبعد أن يدل البيت في إطار سانيته وسياقه على شئ مما ذكر فـ" ليس يبعد أن يكون فيه شوب مما مضى "[1] ولكنه يفضل أن يستأنف القراءة ويعيد بناء المعنى اعتمادا على بنية النص كله أو أكثره، فلا يبعد في نظره " أن يكون الذي أفضى به إلى ذكر الحافر: قصده أن يصفه بسوء الحال في مسيره، وتقاذف نواصي الأرض به، وأن يبالغ في ذكره بشدة الحرص على تحريك بَكْره، واستفراغ مجهوده في نفسه، ويؤنس بذلك أن تنظر إلى قوله قبل :

وأشْعَثَ مُسْتَرخِي العَلابَيِّ طَوَّحَتْ

به الأرضُ من بادٍ عَريضٍ وحَافِرِ

فأبصرَ نارِي وهي شقْرَاءُ أُوقِدَتْ

بِعَلْيَاء نَشْـزٍ للعُيُـــونِ النَّواظِرِ [2]

يعلق الجرجاني مقربا بين هذا الوصف وبين استعمال " الحافر" " فإذا جعله (أشعث مسترخي العَلابِيِّ) فقد قرَّب المسافة بينه وبين أن يجعل قَدَمَهُ حافرا ليعطيه من الصلابة وشدة الوقع على جنب البكر حظا وافرا [3] .

والنص بهذا التصور يحاور أفق انتظار القارئ، وتشده وتجذبه نحو الولوج داخل مسارب هذا النص، واستطلاع مضمونه وتذوق بُنَاهُ الجمالية .

ومنذ أعلنت البنيوية والسيميوطيقا - كما هو معلوم - موت المؤلف والمَرْجع، واستبدلتهما بالنص أو العلامات اللغوية والبصرية، وهما لا يباليان بالمؤلف.

---

١ - نفسه ،ص: ٣٨

٢ - نفسه نفس الصفحة

٣ - نفسه نفس الصفحة

ويُعد رولان بارت من النقاد الذين أعلنوا إفلاس المؤلف وعزله والبحث عن النظام والبنيات الثاوية وراء الاختلاف فوق السطح النصي، كما يعد البحث عن المؤلف هو قتل للنص، واغتيال للذته، وتحنيط قسرى لوظيفته الجمالية، ويقوم موت المؤلف عند بارت بوظيفة ثلاثية :

١- يسمح بإدراك النص فى تناصه .

٢- يبتعد بالنقد عن النظر فى الصدق والكذب (عقيدة الأخلاق الأدبية والتنقيب عن أسراره ليجعله مدركا فى بقية أدلته) .

٣- يفسح المجال لتموضع القارئ، إذ إن مولد القارئ يجب أن يدفع ثمنه انسحاب المؤلف[١] .

ولقد برزت العناية الحقيقية بالقارئ – كما يقول حسين الواد مع روبير إسكاربيت(*Robert Escqarpit*) الذى يرى أن الكاتب إنما يكتب لقارئ أو جمهور من القراء فهو عندما يضع أثره الأدبى يدخل به فى حوار مع القارئ، ولذا يرى إسكاربيت أن حياة الأعمال الأدبية تبدأ من اللحظة التى تنشر فيها، إذ هى فى ذلك الحين تقطع صلتها بكاتبها لتبدأ رحلتها مع القراء [٢]

وتعتبر – إذن – جمالية التقبل من أهل النظريات المعاصرة التى اهتمت بالقارئ والقراء ، ونشأت هذه النظرية فى ألمانيا الغربية وتنسب لجامعة

---

١ - طالع : رولان بارت : النقد والحقيقة ، ترجمة إبراهيم الخطيب : الشركة المغربية للناشرين المتحدين ، الدار البيضاء ط١ ١٩٨٥ ص:٨٥ ، ٨٦ ، ٨٧

٢ - د . حسين الواد : فى مناهج الدراسات الأدبية ، منشورات الجامعة ، المغرب ط٢ ، ١٩٨٥ ص:٩٧ .

كونستانس ومن ممثليها – كما هو معلوم – ياوس و إيسر، وقد بلورت هذه المدرسة مجموعة من المفاهيم الأساسية كأفق الانتظار والمسافة الجمالية والقارئ الضِّمْنى وفعل القراءة والقطب الفنى والقطب الجمالى ومرحلة استجماع المعنى ومرحلة الدلالة [1]

هذه – إذن – مقدمة حول القراءة والقارئ ، وبيان لدورها فى إحياء النص فى ثوب آخر غير الذى هو فيه ، وإعادة إنتاج جديد، ليصبح النص الأدبى منفتحا لقراءات متعددة حسب مرجعيات القارئ الثقافية ومرجعياته المتنوعة، إن القارئ هو قطب مركزي فى الظاهرة الأدبية.

وما دام العمل الأدبى متعدد الشفرات، لا تنقطع صلته بالقارئ الفاعل ووضعيته التاريخية، وما دام النص يتسم بتعددية أبعاده وديمومة القراءة والتأويل فإن القارئ الفاعل الجيد هو الذى يملأ فراغات يتركها النص ويعيد بتأويله وجودا جديدا للنص، ربما غفل عنه القارئ السلبى، هذا القارئ الذى وصفه، كما قلنا سابقا، عبد القاهر الجرجانى – بالقارى الدفتر أو الراوى .

إن القراءة فعل ملموس يتكون من جملة افتراضات وآمال وخيبات وأحلام، تعقبها يقظات [2] و القراءة - إذن - جزء من النص فهى منطبعة منه، محفورة عليه، تعيد كتابته [3]

---

١ - نفسه ص: ٧١ .
٢ - طالع : رشيد بن حدو – قراءة فى قراءة – مجلة الفكر المعاصر ، عدد ٤٨ – ٤٩ ص: ١٤
٣ - نفسه ص:١٨

إن هذا الكتاب " جماليات التلقي وإعادة أنتاج الدلالة ، يؤكد حقيقةً مهمة، مفادها أنه " من أهم النقاط في قراءة أي عمل أدبي التفاعل بين بنيته ومتلقيه.."[1] أو بعنى آخر" إن العمل الأدبي له قطبان يمكن أن نطلق على أحدهما القطب الفني والآخر الجمالي، القطب الفني هو نص المؤلف، والقطب الجمالي هو عملية الإدراك التي يقوم بها القارئ ... إذا كان الوضع العملي للعمل الأدبي يقع بين النص والقارئ، فإن تفعيله يعد محصلة تفاعل بينهما "[2] إن النص الأدبي – بعد ذلك- يتسم بتعدد قراءاته، قراءات متعددة تبعا لخبرة القراء وأساليبهم، حتى إن هناك عددا من القراءات يساوي عدد القراء [3]

مرة ثانية، إن هذا الكتاب " هو قراءة أخرى في مصطلح بلاغي تعيده في منتج جديد، من خلال قراءةٍ للبلاغيين القدماء والمحدثين ومن خلال التطبيق، وذلك في قسمه الأول، وهو قراءة من قراءات متعددة في قسمه الثاني حين يدرس إبداع الزمن في النص الشعري، وتتعدد القراءة في القسم الثالث حين ترصد الصوت القافوي في بنية النص الشعري، وإعادة إنتاج الدلالة مرة أخرى، من خلا هذا الصوت الرئيسي في النص .

وبعد فهذه قراءة في قراءة، سائلين الله التوفيق والسداد .

المؤلف.

---

١ ـ فولفجانج إيسَر ، فعل القراءة (نظرية في الاستجابة الجمالية)، مرجع سابق، ص: ٢٧

٢ ـ نفسه، ص: ٢٨،٢٧.

٣ ـ فاضل ثامر : من سلطة النص إلى سلطة القراءة.مجلة الفكر العربي المعاصر،عدد ٤٨ ـ ٤٠ ١٩٨٨ ص: ٨٩